تفسير سورة مريم

الجزء السابع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

المعنى الإجمالي من آية 64إلى آية 76:

يقولُ الله تعالى: قلْ -يا جِبريلُ- لمحمَّدٍ: وما نتنَزَّلُ نحن -الملائِكةَ- من السَّماءِ إلى الأرضِ إلَّا بأمرِ رَبِّك لنا، فلا تَستبطئْ نُزولَنا، لله وحده جميعُ الجهاتِ والأماكنِ، وجميعُ الأزمانِ: الحاضرةِ والماضيةِ والمستقبلةِ، فلا نقدرُ أن ننتقلَ مِن جهةٍ إلى جهةٍ، أو في زمانٍ دونَ زمانٍ إلَّا بأمرِ ربِّك ومشيئتِه، وما كان ربُّك ناسيًا لشيءٍ مِن الأشياءِ؛ فهو رَبُّ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما، ومالِكُ ذلك كُلِّه وخالِقُه ومُدَبِّرُه، فاعبُدْه وَحدَه -يا محمَّدُ- واصطَبِرْ على طاعتِه؛ لأنَّه ليس كمِثلِه شَيءٌ في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه سُبحانَه؛ فيَستَحِقَّ أن يُعبَدَ مِثلَ اللهِ، وأن يُسمَّى بما يختصُّ به اللهُ مِن الأسماءِ الحُسنى.

يُخبرُ الله تعالى عن موقفِ المشركينَ مِن البعثِ، ويحكي أقوالَهم الباطلةَ، فيقولُ تعالى: ويقولُ الإنسانُ الكافِرُ مُنكِرًا للبَعثِ بعدَ الموتِ: هل إذا ما مِتُّ وفَنِيتُ أُخرَجُ مِن قبري حيًّا؟! ويردُّ الله سبحانَه عليهم بما يُبطِلُ قولَهم، فيقولُ: أولَا يَذكُرُ هذا الكافِرُ أنَّا خَلَقْناه أوَّلَ مَرَّةٍ، ولم يكُنْ شيئًا مذكورًا؟! فالقادِرُ على إيجادِه مِن العَدَمِ قادِرٌ على إحيائِه بعدَ مَوتِه.

ثمَّ يُقسِمُ الله سبحانَه على وقوعِ البعثِ والنشورِ فيقولُ: فوربِّك -يا محمَّدُ- لنجمعَنَّ هؤلاء المنكِرينَ للبَعثِ يومَ القيامةِ مع الشَّياطينِ الذين أضَلُّوهم، ثمَّ لنُحضِرَنَّهم حَولَ جهنَّمَ باركينَ على رُكَبِهم، ثمَّ لنأخُذَنَّ مِن كلِّ طائفةٍ أشدَّهم تمرُّدًا وكُفرًا وعِصيانًا لله، فنبدأُ بعَذابِهم، ثمَّ لنحن أعلَمُ بمَن هم أحقُّ بشدَّةِ العذابِ في النَّارِ.

ثمَّ يُبيِّنُ أنَّ الجميعَ سيرِدُ جهنَّمَ، فيقولُ: وما منكم -أيُّها النَّاسُ- أحدٌ إلَّا وارِدٌ النَّارَ، كان ذلك على ربِّك أمرًا محتومًا وقَضاءً واجبًا لا بدَّ مِن وقوعِه، ثمَّ ننجِّي الذين اتَّقَوا ربَّهم بامتِثالِ ما أمَرَ واجتنابِ ما نهى، ونتركُ الظالمينَ أنفُسَهم بالكُفرِ والمعاصي في النَّارِ باركينَ على رُكَبِهم.

يخبرُ الله تعالى عن موقفِ الكافرينَ عندَ سماعِهم لآياتِ الله وما يحتجُّون به على المؤمنينَ، فيقولُ: وإذا تُتلى على النَّاسِ آياتُنا الواضِحاتُ، قال الكُفَّارُ للمُؤمِنينَ: أيُّ الفريقينِ منَّا ومنكم أفضَلُ مَنزِلًا وعيشًا ومتاعًا، وأحسَنُ مَجلِسًا في الدُّنيا؟ فكيف نكونُ على الباطِلِ وأنتم على الحَقِّ، ونحن أفضَلُ منكم في ذلك؟!

✉ثمَّ يرُدُّ الله تعالى على هؤلاءِ الكافرينَ المغرورينَ، فيقول: وما أكثَرَ ما أهلَكْنا قبلَ كُفَّارِ قُرَيشٍ مِن الأمَمِ، ممَّنْ كانوا أحسَنَ متاعًا منهم، وأجمَلَ منظرًا وصُوَرًا! قل لهم -يا محمَّدُ-: مَن كان ضالًّا عن الحَقِّ غيرَ مُتَّبِعٍ طَريقَ الهُدى، فالله يُمهِلُه ويُملي له في ضَلالِه فيَزيدُه من النِّعَمِ والعُمُرِ، حتى إذا رأى هؤلاء الكافرون ما توعَّدهم الله به: إمَّا العذابَ العاجِلَ في الدُّنيا، وإمَّا قيامَ السَّاعةِ؛ فسيَعلَمُون حينئذٍ مَن هو شَرٌّ مَكانًا ومُستقَرًّا، وأضعَفُ قُوَّةً وجُندًا وناصِرًا.

✉ثمَّ يبينُ الله تعالى حالَ أهلِ الهدايةِ بعدَ أن بيَّن حالَ أهلِ الضلالةِ، فيقولُ: ويزيدُ اللهُ الذين اهتَدَوا لدينِه يقينًا وإيمانًا، وعلمًا نافعًا، وتوفيقًا للعمل الصَّالح، والأقوالُ الأعمالُ الصَّالحاتُ الباقياتُ التي لا زوالَ لثوابِها خَيرٌ ثوابًا عند اللهِ في الآخرةِ، وخَيرٌ مَرجِعًا وعاقبةً.

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة مريم:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿77﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: أنَّ الله تعالى لَمَّا ذكَرَ الدَّلائِلَ على صِحَّةِ البَعثِ، ثمَّ أورد شُبهةَ المنكِرِينَ، وأجاب عنها؛ أو رد عنهم الآنَ ما ذكَروه على سبيلِ الاستهزاءِ؛ طعنًا في القَولِ بالحَشرِ.

قال ابن عاشور: وأيضًا فهو تفريعٌ على قولِه: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) [مريم: 66] وما اتَّصلَ به من الاعتراضِ والتَّفريعاتِ، والمناسبةُ: أنَّ قائلَ هذا الكلامِ كان في غُرورٍ مثْلِ الغُرورِ الَّذي كان فيه أصحابُه، وهو غُرورُ إحالةِ البعثِ.

سَبَبُ النُّزولِ: عن خَبَّابِ بنِ الأرَتِّ رَضِيَ الله عنه، قال: (جئتُ العاصَ بنَ وائلٍ السَّهميَّ أتقاضاه حقًّا لي عندَه، فقال: لا أُعْطيك حتى تَكفُرَ بمُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقلتُ: لا حتى تموتَ ثمَّ تُبعَثَ، قال: وإنِّي لميتٌ ثمَّ مَبعوثٌ؟! قلتُ: نعم، قال: إنَّ لي هناك مالًا وولدًا فأقضيكه! فنزلت هذه الآيةُ: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) رواه بخاري

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) أي: انظُرْ مُتعَجِّبًا -يا محمَّدُ - إلى هذا الذي كفَرَ بآياتِ القُرآنِ، وقال: واللهِ ليعطيَنِّي اللهُ في الآخرةِ -على تقديرِ قيامِها- مالًا وأولادًا، مع كُفرِه باللهِ وتكذيبِه بآياتِه، ومِن جُملتِها آياتُ البعثِ بعدَ الموتِ. موسوعة التفسير

قال أبو السعود: فالهمزةُ للتَّعجيبِ من حالِه، والإيذانِ بأنَّها من الغرابةِ والشَّناعةِ بحيث يجِبُ أنْ تُرى، ويُقضَى منها العجَبُ، والفاءُ للعطفِ على مُقدَّرٍ يَقْتضيه المقامُ، أي: أنظَرْتَ فرأيتَ الَّذي كفَرَ بآياتِنا الباهرةِ الَّتي حقُّها أنْ يؤمِنَ بها كلُّ مَن يُشاهِدُها.

قال السعدي: هذه الآيةُ، وإن كانت نازلةً في كافرٍ مُعَيَّن، فإنَّها تشمَلُ كُلَّ كافرٍ زعَم أنَّه على الحَقِّ، وأنَّه مِن أهلِ الجنَّةِ.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿78﴾

(أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أي: هل عَلِمَ هذا الكافِرُ -المتألِّي على اللهِ- عِلمَ الغَيبِ، فعَلِمَ أنَّ له في الآخرة مالًا وولدًا، أم له عهدٌ عند اللهِ بأنَّه سيعطيه ذلك. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: الاستفهامُ في قولِه: (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) إنكاريٌّ وتَعجيبيٌّ.

ولاختيارِ هذه الكلمةِ شأنٌ، والمعنى: أوَ قدْ بلَغَ من عظَمةِ شأنِه أنِ ارْتَقى إلى علْمِ الغيبِ الَّذي توحَّدَ به الواحدُ القهَّارُ. موسوعة التفسير

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿79﴾

(كَلَّا) أي: ليس الأمرُ على ما قالَ هذا الكافرُ مِن أنَّه يُؤْتَى المالَ والولدَ؛ فهو مخطِئٌ فيما يقولُه ويتَمَنَّاه. موسوعة التفسير

قال القرطبي: كَلَّا ردٌّ عليه، أي: لم يَكُنْ ذلك؛ لم يطَّلِعِ الغيبَ، ولم يتَّخِذْ عندَ الرَّحمنِ عهدًا.

(سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ) أي: ستَكتُبُ الملائكةُ الحَفَظةُ بأمْرِنا ما يقولُ هذا الكافِرُ المفتري على اللهِ أنَّه سيُعطيه في الآخرةِ مالًا وولدًا، وسنُجازيه في الآخرةِ على كَذِبِه وكُفرِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس: 21].

وقال سُبحانه: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) [الزخرف: 80].

وقال عزَّ وجلَّ: (كَلَّا، بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) [الانفطار: 9 - 12].

"سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ" خلف لسانك هلاكك، فكل حرف مسجل عليك، فلا شيء يوردك للمهالك كلسانك الذي تطلقه بدون رقيب. مها العنزي

وقال تَعَالَى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:18].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمنْ لهُ الجَنَّة". متفقٌ عليه.

✉فاللسان سلاحٌ ذو حدين إما أن يجني لك خيراً إن استعملته بذكر الله، وبطاعة الله، ونطقت به للخير، وإما أن يجني عنك شرا، إن استعملته في الغيبة والنميمة والكلام المحرم.

(وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) أي: ونزيدُ هذا الكافِرَ في الآخرةِ عذابًا زائدًا؛ بسَبَبِ قَولِه الكَذِبَ على رَبِّه. موسوعة التفسير

📃قال البقاعي: وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا باستدراجِه بأسبابِه مِن كثرةِ النِّعَمِ، مِن الأموالِ والأولادِ المحَبَّبةِ له في الدنيا، المعَذِّبةِ له فيها بالكَدحِ في جَمعِها، والمخاصَمةِ عليها الموجِبةِ له التَّمادي في الكُفرِ الموجِبِ لعذابِ الآخرةِ؛ وإتيانِ بَعضِه في إثرِ بَعضٍ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: 85].

كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: 69، 70].

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿80﴾

(وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا) أي: ونَسلُبُ مالَه وولَدَه في الدُّنيا بمَوتِه عن جميعِ ذلك، فيصيرُ ذلك إلينا دونَه، ويأتينا يومَ القيامةِ وَحدَه لا مالَ معه ولا ولَدَ. موسوعة التفسير

📃قال القرطبي: نحرِمُه ما تمنَّاهُ في الآخرةِ مِن مالٍ وولَدٍ، ونجعلُه لغيرِه مِن المسلمينَ.

📃قال ابن عاشور: قولُه: وَنَرِثُهُ كِنايةٌ عن لازمِه، وهو الهلاكُ، والمقصودُ: تذكيرُه بالموتِ، أو تَهديدُه بقُربِ هلاكِه، وفيه بِشارةٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ونِكايةٌ وكمَدٌ للعاصِ بنِ وائلٍ.

📃قال الزَّجَّاجي: "الله عزَّ وجلَّ وارث الخلْق أجمعين؛ لأنَّه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:40]".

✉الله جلَّ شأنه هو الباقي بعد فناء خلْقِه، الحيّ الَّذي لا يَموت، الدَّائم الذي لا ينقطع، وإليْه مرجع كلّ شيء ومصيره، فإذا مات جَميع الخلائق وزال عنْهم ملكُهم، كان الله تعالى هو الباقي الحقّ، المالك لكلّ المملوكات وحده.

وقال سُبحانه: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مريم: 93 – 95].

✉هو الآن بمفرده عند الله الذي عصاه، الله الذي جحد نعمه، الله الذي قال له اعبدني، فقال له: لن أعبدك! علي الفيفي

✉كل من تجاملهم، لن يأتوا معك، أنت وحدك بين يديه. وليد العاصمي

✉أين من أحبوك، وفي الأزمات قد نصروك، أين قوتك ومالك أين قبيلتك وجاهك قد هجروك وتركوك وبقيت وحدك مرتهن بعملك. إبراهيم العقيل

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿81﴾

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) أي: واتخذَ المشرِكونَ أوثانًا يَعبُدونَها مِن دونِ اللهِ؛ مِن أجلِ أن ينالوا بها العِزَّ، وتمنَعَهم مِن عذابِ اللهِ، وتُقرِّبَهم إليه، وتنصُرَهم، وتشفَعَ لهم. موسوعة التفسير

✉قال ابن تيمية: ما عَلَّقَ العبدُ رجاءَه وتوكُّلَه بغيرِ اللهِ إلَّا خاب مِن تلك الجهةِ، ولا استنصرَ بغيرِ اللهِ إلَّا خُذِلَ.

✉أنظر لنفسك وهواها لعل فيها أصنام من نوع آخر تتقرب إليهم زلفة لتنال بهم عزا. مها العنزي.

كما قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس: 18].

وقال سُبحانه: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) [يس: 74].

وقال عزَّ وجلَّ: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: 3].

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿82﴾

(كَلَّا) أي: ليس الأمرُ كما ظنُّوا مِن أنَّ آلهتَهم تكونُ لهم عزًّا؛ فهي لا تستطيعُ أن تمنَعَهم من العذابِ، أو تنصُرَهم، أو تشفَعَ لهم، أو تقرِّبَهم إلى اللهِ. موسوعة التفسير

قولُه: كَلَّا: ردْعٌ لهم عن ذلك الاعتقادِ الباطلِ، وإنكارٌ لوُقوعِ ما عَلَّقوا به أطماعَهم الفارغةَ.

✉ألا كل شيء ما خلا الله باطل فكل محبة وولاية لم تكن لله فمصيرها البغض والعداوة. مها العنزي

كما قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ آَلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) [الأنبياء: 43].

(سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أي: ولكن ستَكفُرُ تلك المعبوداتُ يومَ القيامةِ بعبادةِ المشرِكينَ لها، وتتبرَّأُ منهم، وتكونُ بخلافِ ما ظنُّوا فيهم، فتكونُ أعوانًا عليهم في خصومتِهم وتكذيبِهم والتبرؤِ منهم، ويؤولُ بهم ذلك إلى الذلِّ والهوانِ. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: المرادُ أنَّ العابدينَ هم الذين يكفرونَ بعبادتِهم شركاءَهم، وينكرونَها.

ويكونُ قولُه: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا في مُقابلةِ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، والمرادُ: ضِدُّ العِزِّ، وهو الذُّلُّ والهوانُ، أي: يكونونَ عليهم ضِدًّا لِما قصَدوه وأرادوهُ، كأنَّه قيل: ويكونونَ عليهم ذُلًّا، لا لهم عِزًّا، أو يكونونَ عليهم عونًا.

وقال سُبحانَه: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) [يونس: 28، 29].

وقال سُبحانَه: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) [فاطر: 13-14].

وقال تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) [الأحقاف: 5-6].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ﴿83﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا ذكَرَ حالَ الكُفَّارِ مع الأصنامِ في الآخرة؛ ذكَرَ بَعدَه حالَهم مع الشياطينِ في الدُّنيا؛ فإنَّهم يتولَّونَهم، وينقادونَ لهم، فقال:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) أي: ألم تَرَ -يا محمَّدُ- أنَّا سلَّطْنا الشَّياطينَ على الكافرينَ باللهِ، فتهيِّجُهم بالإغواءِ والتَّزيينِ إلى الكُفرِ والمعاصي، وتُزعِجُهم إليها إزعاجًا؟ موسوعة التفسير

قال ابنُ عطية: الرؤيةُ في الآيةِ رؤيةُ القلبِ.

كما قال تعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) [فصلت: 25].

وقال سُبحانَه: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) [الزخرف: 36، 37].

قال السعدي: هذا من عُقوبةِ الكافرينَ أنَّهم لَمَّا لم يعتَصِموا باللهِ ولم يتمَسَّكوا بحبلِ اللهِ، بل أشركوا به، ووالَوا أعداءَه مِن الشياطينِ؛ سَلَّطهم عليهم، وقيَّضَهم لهم، فجُعِلَت الشياطينُ تؤزُّهم إلى المعاصي أزًّا، وتُزعِجُهم إلى الكُفرِ إزعاجًا، فيُوسوِسونَ لهم، ويُوحون إليهم، ويُزَيِّنونَ لهم الباطِلَ، ويقبِّحونَ لهم الحَقَّ، فيدخُلُ حُبُّ الباطِلِ في قلوبِهم ويتشَرَّبُها، فيسعَى فيه سعيَ المحِقِّ في حَقِّه، فينصُرُه بجُهدِه ويُحارِبُ عنه، ويجاهدُ أهلَ الحَقِّ في سبيلِ الباطِلِ، وهذا كلُّه جزاءً له على تولِّيه مَن وليَه، وتولِّيه لعدُوِّه؛ جُعِلَ له عليه سلطانٌ، وإلَّا فلو آمَن باللهِ وتوكَّلَ عليه، لم يكُنْ له عليه سلطانٌ، كما قال تعالى:(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)[النحل: 99-100].

قال ابن القيم رحمه الله: «لا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه وتعالى برحمته عليه الملائكة تؤزّه إليها أزًّا، وتحرّضه عليها، وتزعجه من فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي، ويحبها، ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين، فتؤزه إليها أزًا، فالأول قوّى جند الطاعة بالمدد فصاروا من أكبر أعوانه، وهذا قوّى جند المعصية بالمدد فكانوا أعوانًا عليه". الجواب الكافي

قال ابن القيم: إرسالٌ كونيٌّ قَدَريٌّ، كإرسالِ الرِّياحِ، وليس بإرسالٍ دينيٍّ شرعيٍّ؛ فهو إرسالُ تسليطٍ، بخلافِ قولِه في المؤمنين: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ [الحجر: 42]، فهذا السلطانُ المَنْفِيُّ عنه على المؤمنينَ هو الذي أرسلَ به جُندَه على الكافرينَ.

الطيور على أشكالها تقع، فالطيب ينجذب إليه الطيب، والخبيث يأتيه من هو على شاكلته! مها العنزي

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ﴿84﴾

(فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) أي: فلا تَستعجِلْ -يا محمَّدُ- بطَلَبِ وُقوعِ الهلاكِ والعذابِ على أولئك الكافرينَ. موسوعة التفسير

الله يعلم الظالمين ومقدار ظلمهم ويعلم كم ألحقوا الأذى بخلقه، لكن لهم موعد لن يفلتوا من قبضته. مها العنزي

قال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم:42]

كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف: 34، 35].

(إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) أي: إنَّما نَعُدُّ الأعوامَ والشُّهورَ والأيَّامَ، فنُمهِلُهم ونؤخِّرُ تَعذيبَهم إلى أجَلٍ معدودٍ مَضبوطٍ، فإذا جاءَ الوقتُ المحدَّدُ لذلك أهلَكْناهم. موسوعة التفسير

✉كلما رأيت صولة أهل الباطل، وطغيان الظلمة والمجرمين، تذكرت قول الجبار: " إنما نعدّ لهم عدّا " فاطمأن قلبي، وازددت يقينا بموعود ربي ... روائع القرآن

قال الطبري: ونحن نَعُدُّ أعمالَهم كلَّها ونُحصيها حتى أنفاسَهم؛ لنُجازيَهم على جميعِها، ونؤخِّرُ إهلاكَهم ليزدادوا إثمًا، ولم نَترُك تعجيلَ هلاكِهم لخيرٍ أردناه بهم.

قال ابن عاشور: قولُه تعالى: (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) وعبَّرَ بـ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ مُعدًّى بحرفِ الاستعلاءِ (على)؛ إكرامًا للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ بأنْ نُزِّلَ منزلةَ الَّذي هلاكُهم بيَدِه، فنُهِيَ عن تَعجيلِه بهلاكِهم. وذلك إشارةٌ إلى قَبولِ دُعائِه عندَ ربِّه، فلو دعا عليهم بالهلاكِ لَأهلَكَهم اللهُ؛ كيْلَا يُردَّ دعوةَ نَبيِّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿85﴾

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) أي: اذكُرْ -يا محمَّدُ- يومَ القيامةِ حين نجمعُ الذين اتَّقَوا اللهَ بامتثالِ ما أمرَ، واجتنابِ ما نهى، فنقودُهم إلى الرَّحمنِ راكبينَ في رِفعةٍ وعلوٍّ، فيَقدَمونَ إلى جنَّتِه، ومحَلِّ ضِيافتِه، ودارِ كرامتِه ورِضوانِه. موسوعة التفسير

قال السعدي: يخبر تعالى عن تفاوت الفريقين المتقين، والمجرمين، وأن المتقين له -باتقاء الشرك والبدع والمعاصي- يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين، مبجلين معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودا إليه، والوافد لابد أن يكون في قلبه من الرجاء، وحسن الظن بالوافد [إليه] ما هو معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما

قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله.

قال الطبري: عن النعمان بن سعد، عن عليّ، في قوله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ خَافُوهُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا رُسُلَهُ وَصَدَّقُوهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُمْ، وَأَطَاعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا عَنْهُ زَجَرُوهُمْ: أَنَّهُ يَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفْدًا إِلَيْهِ.
وَالْوَفْدُ: هُمُ الْقَادِمُونَ رُكْبَانًا، وَمِنْهُ الْوُفُودُ وَرُكُوبُهُمْ عَلَى نَجَائِبَ مِنْ نُورٍ، مِنْ مَرَاكِبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُمْ قَادِمُونَ عَلَى خَيْرِ مَوْفُودٍ إِلَيْهِ، إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ وَرِضْوَانِهِ.

كما قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) [الزمر: 73].

هؤلاء النساك الصالحون الذين كان التضييق عليهم كبير بالدنيا لكن بالآخرة سينزلهم الله منزلتهم.
مها العنزي

يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " ألا نعم الوفد، ونعم المضيف، ونعم الكرامة، والإكرام، والأنس.
تأملات قرآنية

اجتمعوا في الدنيا على الطاعات والقربات كانت حياتهم كلها لله، فكان الجزاء من الرحمن.

"يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " لا عليك إن فاتتك الوفود المتجهة إلى الملوك المهم ألا يفوتك الوفد المتجه إلى ملك الملوك. إبراهيم العقيل

ما أجمل قوافل المتقين وما أجمل الإقبال على الرحمن فيا شوقاه لكبدٍ نهايته رؤيتك يا الله.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ ﴿86﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى ما يدُلُّ على كرامةِ أوليائِه؛ أتبَعَه ما يدُلُّ على إهانةِ أعدائِه، فقال:

(وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) أي: ونسوقُ الكُفَّارَ والعُصاةَ إلى جَهنَّمَ عِطاشًا مُشاةً؛ إذلالًا لهم.
موسوعة التفسير

قال ابن كثير: وَأَمَّا الْمُجْرِمُونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ الْمُخَالِفُونَ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يُسَاقُونَ عُنْفًا إِلَى النَّارِ، ﴿وِرْدًا﴾ عِطَاشًا.

قال الرازي: يدُلُّ على أنَّهم يُساقُونَ إلى النَّارِ بإهانةٍ واستخفافٍ، كأنَّهم نَعَمٌ عطاشٌ تُساقُ إلى الماءِ.

عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (إذا كان يومُ القيامةِ أذَّنَ مُؤذِّنٌ: تتبَعُ كُلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبُدُ، فلا يبقَى مَن كان يعبُدُ غيرَ اللهِ، مِن الأصنامِ والأنصابِ إلَّا يتساقطونَ في النَّارِ، حتى إذا لم يبقَ إلَّا مَن كان يعبُدُ اللهَ، بَرٌّ أو فاجِرٌ وغُبَّراتُ (بقايا) أهلِ الكِتابِ، فيُدعَى اليهودُ فيُقالُ لهم: مَن كنتم تعبُدونَ؟ قالوا: كنَّا نعبُدُ عزيرَ ابنَ اللهِ! فيُقالُ لهم: كذبتُم؛ ما اتخذَ اللهُ مِن صاحبةٍ ولا ولدٍ، فماذا تَبغونَ؟ فقالوا: عَطِشْنا رَبَّنا فاسْقِنا، فيُشارُ ألا تَرِدونَ؟ فيُحشَرونَ إلى النَّارِ كأنَّها سرابٌ يَحطِمُ بَعضُها بعضًا (يَكسِرُ؛ لشِدَّةِ اتِّقادِها، وتلاطُمِ أمواجِ لهَبِها)، فيتَساقَطونَ في النَّارِ، ثم يُدعَى النَّصارى، فيُقالُ لهم: مَن كنتُم تعبُدونَ؟ قالوا: كنَّا نعبُدُ المسيحَ ابنَ اللهِ! فيُقالُ لهم: كذبتُم، ما اتخذَ اللهُ مِن صاحبةٍ ولا ولدٍ، فيُقالُ لهم: ماذا تبغونَ؟ فكذلك مِثل الأوَّلِ...) (رواه بخاري).

(ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) كل ظالم وإن نال عزا في هذه الدنيا وبطش وتمادى فغدا سيذله الله ويقتص منه فالله عدل ولا يرضى بالجور. مها العنزي

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿87﴾

(لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أي: ليس للكافرينَ مِن الشَّفاعةِ شَيءٌ يومَ القيامةِ، فلا يَشفَعونَ لأحَدٍ، ولا يستَحِقُّونَ أن يشفَعَ لهم أحدٌ، لكنْ من كان مؤمِنًا باللهِ موحِّدًا ومطيعًا له؛ فإنَّه يشفعُ لِغَيرِه، وينتَفِعُ بشَفاعةِ غَيرِه له. موسوعة التفسير

❁الشفاعـــة هي: التوسط للغير في جلب المنفعة أو دفع المضرة.

❁الشفاعة شفاعتان:

الأولى: مثبتة: وهي ما كانت بعد إذْن الله تعالى للشافع، ورِضاه عن الشافع، والمشفوع له.

وأمَّا الشفاعة المنفيَّة: فما نُفِي من الشفاعة فهو ما كان لمشركٍ أو كافر – غير أبي طالب – أو كان بغير إذنٍ من الله، فعامَّة الكفار والمشركين والمنافقين نفاقًا اعتقاديًّا كلُّ هؤلاء لا نصيبَ لهم في الشفاعة غير الشفاعة العُظمَى؛ وهي تعجلهم إلى النار.

كما قال تعالى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: 18].

وقال سُبحانه: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ [المدثر: 48].

وقال تعالى: وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [الزخرف: 86].

وقال عزَّ وجلَّ: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا [طه: 109].

ينبغي التنبيه هنا أن الشفاعة، وإن كانت مثبتة بأدلة الكتاب والسنة والإجماع لأهل التوحيد، إلا أن على المؤمن أن لا يركن على ذلك، فيصيب المعاصي ويأتي المنكرات أملاً أن ينالها، فالشفاعة جائزة وليست واجبة، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم، وغيره من الشافعين يشفعون في بعض من تجوز الشفاعة فيهم لا كلهم، ثم إن الشفاعة تحصل يوم القيامة أما في القبر فلا شفاعة، فعلى المسلم أن يركن لرحمة الله وتوفيقه ثم أن يركن إلى الإيمان والعمل الصالح فهما أعظم شفيع يوم القيامة. طريق الإسلام

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿88﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن كثير: لَمَّا قَرَّر تعالى في هذه السورةِ الشَّريفةِ عُبوديَّةَ عيسى عليه السَّلامُ، وذكَرَ خَلْقَه مِن مريمَ بلا أبٍ؛ شرَع في مقامِ الإنكارِ على من زعمَ أنَّ له ولدًا، تعالى وتقدَّسَ وتنَزَّه عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

قال الرازي: وأيضًا لما ردَّ الله تعالى على عبدةِ الأوثانِ؛ عاد إلى الردِّ على مَن أثبتَ له ولدًا.

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) أي: وقال هؤلاء الكافِرونَ: اتَّخَذَ الرَّحمنُ ولدًا له. موسوعة التفسير

قال السعدي: كقَولِ النَّصارى: المسيحُ ابنُ اللهِ، واليهودِ: عزيرٌ ابنُ اللهِ، والمشركين: الملائِكةُ بناتُ الله -تعالى اللهُ عن قَولِهم عُلُوًّا كَبيرًا.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ﴿89﴾

(لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) أي: لقد قلتُم قولًا عَظيمًا مُنكَرًا، بافترائِكم على اللهِ أنَّ له ولدًا. موسوعة التفسير

قال ابن الاثير: وإنَّما قيل: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا وهو خِطابٌ للحاضِرِ، بعدَ قَولِه: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا وهو خِطابٌ للغائِبِ؛ لفائدةٍ حَسَنةٍ، وهي زيادةُ التَّسجيلِ عليهم بالجَراءةِ على الله تعالى، والتعَرُّضِ لسَخَطِه، وتنبيهٌ لهم على عِظَمِ ما قالوه، كأنَّه يُخاطِبُ قَومًا حاضِرينَ بينَ يديه مُنكِرًا عليهم، ومُوَبِّخًا لهم.

كما قال تعالى: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا [الإسراء: 40].

وقال سُبحانه: وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا [الكهف: 4-5].

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿90﴾

(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) أي: تكاد السَّمواتُ على عَظَمتِها وإحكامِها تتشَقَّقُ قِطَعًا عند سماعِها ذلك القَولَ العَظيمَ المنكَرَ؛ إعظامًا للرَّبِّ، وإجلالًا له سُبحانَه. موسوعة التفسير

(وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ) أي: وتكادُ الأرضُ تتصَدَّعُ؛ تعظيمًا لله سُبحانَه. موسوعة التفسير

(وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) أي: وتكادُ الجِبالُ على صلابتِها تسقُطُ سَريعًا، فتندَكُّ وتتفَتَّتُ. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: نسبةُ الولدِ إلى الله مسبَّةٌ له تبارَك وتعالَى؛ لذا أخبَرَ الله تعالى أنَّه: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا وما ذاك إلا لتضَمُّنِه شَتْمَ الربِّ تبارك وتعالى؛ والتنَقُّصَ به، ونسبةَ ما يمنعُ كمالَ رُبُوبيَّتِه وقُدرتِه وغناه إليه.

هناك من يعلم تلك الآية من أبناء المسلمين ومع ذلك يحتفلون مع الكفار بمولد المسيح، تعالى الله عما يفعلون. أحمد القحطاني أبو مريم

تهنئة الكفار بالكريسمس حرام بالاتفاق. ابن عثيمين". روائع القرآن

بعض الكلام الذي يتفوه به فئة من البشر خطير وثقيل لا تتحمله لا السماوات ولا حتى الجبال فما أظلم الانسان. مها العنزي

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿91﴾

(أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) أي: من أجلِ أنَّ المشرِكينَ نَسَبوا للرَّحمنِ ولَدًا. موسوعة التفسير

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿92﴾

(وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أي: وما يصِحُّ ولا يليقُ بالرَّحمنِ أن يتَّخِذَ ولَدًا؛ فلا مِثلَ له مِن خَلقِه، ولا احتياجَ له إليهم؛ فجميعُ الخلائقِ عَبيدٌ له، وهو الغنيُّ الحميدُ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ [البقرة: 116].

وقال سُبحانه: مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ [مريم: 35].

وقال عزَّ وجَلَّ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص: 1 - 4].

وعنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((قال اللهُ: كَذَّبني ابنُ آدَمَ، ولم يكنْ له ذلك، وشتَمَني، ولم يكنْ له ذلك! فأمَّا تكذيبُه إيَّاي فزَعَم أنِّي لا أقدِرُ أن أُعيدَه كما كان، وأمَّا شَتمُه إيَّاي فقولُه: لي ولدٌ، فسُبحاني أن أتخِذَ صاحِبةً أو ولدًا!)). رواه البخاري

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿93﴾

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) أي: ما مِن أحدٍ مِن أهلِ السَّمواتِ ومَن أهلِ الأرضِ إلَّا سيأتي إلى الرَّحمنِ يومَ القيامةِ ذَليلًا خاضِعًا، مقِرًّا له بعبوديَّتِه، فكيف يكونُ أحدٌ مِن خَلقِه ولدًا له، والحالُ أنَّ الجميعَ مِلكُه وعَبيدُه، يتصَرَّفُ فيهم كما يشاءُ؟ أمَّا هم فليس لهم من الملكِ والتصَرُّفِ شيءٌ. موسوعة التفسير

(إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)

العبوديَّةُ نوعانِ: عامَّةٌ وخاصَّةٌ؛ فالعبوديَّةُ العامَّةُ (القهرية) عبوديَّةُ أهلِ السَّمواتِ والأرضِ كُلِّهم لله؛ بَرِّهم وفاجِرِهم، مؤمِنِهم وكافِرِهم، فهذه عبوديَّةُ القَهرِ والمِلك.

وأمَّا النوع الثاني: العبودية الخاصة(الاختيارية) فعبوديَّةُ الطَّاعةِ والمحبَّة، واتباع الأوامِرِ؛ قال تعالى: (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) [الزخرف: 68]، وقال: (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: 17-18]، وقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: 63].

✉وأصل العبودية: عبودية القلب وهي الباعثة على عبودية سائر الجوارح، فالقلب هو محل معرفة الله – عزوجل– وبحسب قوة معرفته بالله يكون، نصيبه من وصف العبودية، وشعوره بالحلاوة الإيمانية، وتحققه بأنواع العبادة، وارتقائه بصاحبه في درجات العبودية إلى مراتب المحسنين المقربين السابقين بالخيرات.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿94﴾

(لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) أي: لقد أحصى الرَّحمنُ عَدَدَ خَلْقِه كُلِّهم؛ ذَكَرِهم وأُنثاهم، وصَغيرِهم وكبيرِهم، فلا يخفَى عليه أحَدٌ منهم. موسوعة التفسير

✉في زحمة العرصات، وبين ملايين المخلوقات، وفي أعظم الكربات: لك اسم ورقم ووصف ومصير.

علي الفيفي

﴿وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ﴿95﴾

(وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) أي: وكُلُّ واحدٍ مِن الخلائِقِ سيأتي إلى اللهِ يومَ القيامةِ بعدَ بَعثِه مِن الموتِ وَحيدًا، لا أولادَ معه، ولا مالَ له، ولا أنصارَ، ليس معه إلا عَمَلُه، فيقضي اللهُ فيه بحُكمِه، ويُجازيه، ويوَفِّيه حسابَه، فكيف يُتصوَّرُ في بالٍ أو يَقَعُ في خيالٍ أن يكونَ شَيءٌ مِن خَلْقِه وعَبيدِه له ولدًا، أو معه شريكًا؟! موسوعة التفسير

قال تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) عبس

وقد جاء في تفسير ابن كثير : قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته (أي يوم القيامة) فيقول لها : يا هذه أي بعل كنت لك ؟ ، فتقول نعم البعل كنت ،وتثني بخير ما استطاعت ،فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي ، لعلي أنجو مما ترين ،فتقول له : ما أيسر ما طلبت ،ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا ، أتخوف مثل الذي تخاف ،قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به ، فيقول : يا بني أي والد كنت لك ، فيثني بخير ، فيقول له : يا بني ،إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك، لعلي أنجو بها مما ترى ،فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ،ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف ،فلا أستطيع أن أعطيك شيئا.

✉وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة، أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي نفسي ،لا أسأله اليوم إلا نفسي حتى أن عيسى ابن مريم يقول :لا أسأله اليوم إلا نفسي ،لا أسأله مريم التي ولدتني .

وكما قال تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ [الأنعام: 94].

📃قال ابنُ عاشور: معنى (وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) إبطالُ ما لأجْلِه قالوا: اتَّخَذَ اللهُ ولدًا؛ لأنَّهم زَعَموا ذلك مُوجِبَ عِبادتِهم للمَلائكةِ والجِنِّ؛ لِيَكونوا شُفَعاءَهم عندَ الله، فأيأَسَهم اللهُ مِن ذلك بأنَّ كُلَّ واحدٍ يأتي يومَ القيامةِ مُفرَدًا لا نَصيرَ له.

✉لا تعتز بفئة، ولا تعتز بجماعة وتتبنى أفعالهم فغدا ستكون امام الله وحيداً ولا أحد سينفعك إلا عملك. مها العنزي

✉هيئ نفسك ليوم يتخلى عنك فيه أهلك وأصحابك وتزول عنك فيه قوتك وجاهك انه يوم لا يقبل فيه الاتيان جماعة!! / تدبر

✉مشهد مهيب رهيب، القلوب واجفة والأبصار خاشعة، الطرف قاصر، والرأس حاسر، فردا فردا، اللهم هون علينا الموقف العظيم. عبد الملك القاسم

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿96﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال أبو السعود: لما فُصِّلتْ قبائحُ أحوالِ الكفرةِ؛ عُقِّبَ ذلك بذكْرِ مَحاسنِ أحوالِ المؤمنين.

قال الرازي: وأيضًا فإنَّ اللهَ تعالى لَمَّا رَدَّ على أصنافِ الكَفَرةِ، وبالَغ في شَرحِ أحوالِهم في الدُّنيا والآخرةِ؛ ختَمَ السُّورةَ بذِكرِ أحوالِ المؤمنينَ، فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) أي: إنَّ الذين آمنوا باللهِ ورُسُلِه وبما جاؤوا به مِن عندِ اللهِ، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالحةَ: يُحبُّهم اللهُ، ويجعلُ لهم في الدُّنيا محبَّةً في قلوبِ عِبادِه. موسوعة التفسير

قال السعدي: هذا مِن نِعَمِه تعالى على عبادِه الذين جمعوا بينَ الإيمانِ والعَمَلِ الصالح: أنْ وَعَدَهم أنَّه يجعَلُ لهم وُدًّا، أي: محبَّةً ووِدادًا في قلوبِ أوليائِه، وأهلِ السَّماءِ والأرضِ، وإذا كان لهم في القلوبِ وُدٌّ تيسَّرَ لهم كثيرٌ مِن أمورهم، وحصَل لهم مِن الخيراتِ والدَّعواتِ والإرشادِ والقَبولِ والإمامةِ ما حصل، وإنَّما جعل اللهُ لهم وُدًّا؛ لأنَّهم وَدُّوه، فودَّدَهم إلى أوليائِه وأحبابِه.

قال ابن كثير: هي الأعمالُ التي ترضي اللهَ عَزَّ وجَلَّ؛ لمتابعتِها الشَّريعةَ المحمَّديَّةَ.

قال الشوكاني: وُدًّا أي: حُبًّا في قلوبِ عبادِه، يجعلُه لهم مِن دونِ أنْ يَطْلُبوه بالأسبابِ الَّتي تُوجِبُ ذلك.

قال ابنُ عطية: وقوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ذهَب أكثرُ المفسِّرينَ إلى أنَّ هذا هو القبولُ الذي يضعُه الله لمن يحبُّ مِن عبادِه.

قال ابنُ تيميةَ: أنَّ الله يحبُّهم؛ ويحببُهم إلى عبادِه.

إذا أحببت انسان، وانت لا تدري ما سبب هذا الحب فاعلم أن الله يحبه، وأمر قلبك بحبه. مها العنزي

ما أعظم عطاءه: حتى الحب لا يدعك تتعب في استجدائه، بل يخلقه لك في قلوب الناس. علي الفيفي

أجمل الهِبات في الحياة أن يزرع الله لك حبا وقبولا في القلوب. إبراهيم العقيل

قال قتادة: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم! د. محمد السريع

إذا أحب الله عبده غرس له أنبل الحب في قلوب عباده! ولو تباعدت أجسادهم فأرواحهم قريبة من بعضهم. روائع القرآن

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريلَ فقال: إنِّي أحبُّ فلانًا فأحِبَّه، فيُحِبُّه جبريلُ، ثمَّ ينادي في السَّماءِ فيقولُ: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ...)) (رواه بخاري).

إن كُتِب لك القبول في الناس فلن يملك أحد نزعه منهم؛ لأنه هبة الله لك بلَّغها جبريلَ فأحبك، فبلَّغها أهلَ السماء فأحبوك، فوَضع لك القبول في الأرض. سعود الشريم

يجعل لك ودا معه... يتجلى على قلبك، يطمئنك، أنت آمناً والناس خائفون، موقناً والناس متشككون راضياً والناس ساخطون. نايف لفيصل

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿97﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن عاشور: لَمَّا احتَوَت السُّورةُ على عِبَرٍ وقَصَصٍ وبِشاراتٍ ونُذُرٍ، جاء هنا في التَّنويهِ بالقُرآنِ، وبَيانِ بعضِ ما في تنزيلِه مِن الحِكَمِ.

قال البقاعي: وأيضًا لَمَّا كان إنزالُ هذا القَولِ الثَّقيلِ ثمَّ تَيسيرُه حِفظًا وعَمَلًا- سَببًا لِما جُعِل لأهلِ الطَّاعةِ في الدُّنيا مِنَ الوُدِّ، بما لهم مِنَ التحلِّي والتزيُّنِ بالصَّالحاتِ، والتخلِّي والتصوُّنِ مِنَ السيِّئاتِ؛ الدَّالِّ على ما لهم عندَ مَولاهم مِن عَظيمِ العِزِّ والقُربِ؛ قال:

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) أي: فإنَّما يسَّرْنا القرآنَ بلُغتِك العربيَّةِ -يا محمَّدُ- وسهَّلْنا قراءةَ ألفاظِه، وفَهْمَ معانيه؛ لتبشِّرَ بالقرآنِ الذين يمتثِلونَ الأوامِرَ، ويجتَنِبونَ النَّواهيَ بأنَّ لهم الجنَّةَ في الآخرةِ، والعزَّ في الدُّنيا. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [الدخان: 58].

وقال سُبحانَه: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا [الإسراء: 9].

✉في القرآن آيات تشعر كأنها تخاطبك وتلمس جرحا فتضمده، وتبث في نفسك الأمل ان الله لن يتركك. مها العنزي

✉القلب التقي يستبشر بالقرآن، فالدنيا وهمها إلى زوال، وبه يصابر، فالنعيم بدار القرار. خواطر قرآنية

✉إن تقوى الله إذا استقرَّت في القلوب وارتسمت بها الأقوال والأعمال والأحوال أثمرت من الفضائل والفوائد والثمار ما تصلح به الدنيا والآخرة، وما يشحذ همم أولي الأبصار إلى صراط العزيز الغفار. وكل من أراد العز في الدين والدنيا والبركة في الرزق والوقت والعمل فعليه بتقوى الله؛ فإنها من أعظم ما استُنزلت به الخيرات واستُدفعت المكروهات.

(وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) أي: وتُنذِرَ بالقُرآنِ -يا محمَّدُ- قَومَك الشَّديدي المخاصَمةِ والمجادلةِ بالباطِلِ لرَدِّ الحَقِّ، فتُحَذِّرَهم من وُقوعِ الهَلاكِ والعذابِ عليهم. موسوعة التفسير

قال ابنُ تيميَّةَ: اللُّدُّ: جَمعُ الألَدِّ، وهو الأعوَجُ في المناظَرةِ، الذي يَروغُ عن الحَقِّ.

وقال البقاعي: الألَدُّ: هو الذي يَتمادى في غَيِّه، ولا يَرجِعُ لدَليلٍ، ويَركَبُ في عنادِ الحَقِّ ما يَقدِرُ عليه مِنَ الشَّرِّ، ولا يكونُ هذا إلَّا ممَّن يحتَقِرُ مَن يخاصِمُه، ويريدُ أن يجعَلَ الحَقَّ باطِلًا؛ تكبُّرًا عن قَبولِه.

قال الرازي: لَمَّا ذكرَ تعالى أنه يبشِّرُ بالقرآنِ المتَّقينَ، ذكَرَ في مقابلتِه مَن هو في مخالفةِ التَّقوى أبلغُ، وأبلَغُهم الألَدُّ الذي يتمسَّكُ بالباطِلِ، ويجادِلُ فيه ويتشَدَّدُ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ﴿98﴾

✉مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن عاشور: لما ذُكِروا بالعنادِ والمكابَرةِ؛ أُتبِعَ بالتَّعريضِ بتَهديدِهم على ذلك، بتَذكيرِهم بالأُمَمِ الَّتي استأصَلَها اللهُ لجَبروتِها وتَعنُّتِها؛ لتكونَ لهم قياسًا ومثَلًا، فقال تعالى:

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي: وأهلَكْنا كثيرًا مِن الأُمَمِ الماضيةِ قبلَ كُفَّارِ قُرَيشٍ؛ بسَبَبِ كُفرِهم باللهِ، وتكذيبِهم رُسُلَه، ورُكوبِهم معاصيَه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ [ق: 36].

(هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ) أي: فهل ترَى -يا محمَّدُ- أو تشعُرُ بشَخصٍ واحدٍ مِن تلك الأُمَمِ الماضيةِ التي أهلَكْناها؟! موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة: 8].

(أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) أي: أو هل تَسمَعُ لهم صَوتًا خَفِيًّا؟! كلا؛ فقد بادوا وهَلَكوا، وبَقِيَت أخبارُهم عِبرةً للمُعتَبِرينَ، ولم يبقَ منهم عينٌ ولا أثَرٌ، قد خلَت منهم دورُهم، وانتقلوا إلى دارٍ لا ينفَعُهم فيها إلَّا الإيمانُ والعَمَلُ الصالحُ، فكذلك هؤلاء المشرِكونَ -يا محمَّدُ- صائرونَ إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يبادِروا بالتَّوبةِ قَبلَ وُقوعِ الهلاكِ. موسوعة التفسير

قال الرازي: ختَم الله تعالى السورةَ بموعظةٍ بليغةٍ، فقال: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) لأنَّهم إذا تأمَّلوا وعَلِموا أنَّه لا بدَّ مِن زوالِ الدُّنيا، والانتهاءِ إلى الموتِ؛ خافوا ذلك وخافوا أيضًا سُوءَ العاقبةِ في الآخرةِ، فكانوا فيها إلى الحَذَرِ مِن المعاصي أقرَبَ، ثمَّ أكَّدَ تعالى ذلك فقال: هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ؛ لأنَّ الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إذا لم يُحِسَّ منهم أحدًا برؤيةٍ أو إدراكٍ أو وجدانٍ، ولا يسمعُ لهم ركزًا -وهو الصَّوتُ الخَفِيُّ- دَلَّ ذلك على انقراضِهم وفنائِهم بالكُلِيَّةِ.

يجب عدم الاغترار بالباطل ولو انتفش ولو علا ولو ظهر في المشهد؛ لأنه في النهاية سيضمحل ولا يبقى ويبقى الحق.

ستذوب هذه الأوثان، وسيتلاشى هذا الطغيان، ويلتهمهم شبح النسيان، ويبقى الواحد الديان.
علي الفيفي

خلاصة سورة مريم: تستهل السورة الكريمة بالحديث عن نبي الله زكريا عليه السلام ثم ابنه يحيى عليه السلام ثم يأتي الحديث المستفيض عن مريم تكريما لها وتخليدا لذكرها ونشرا لمحاسنها وبيانا لرحمة الله تعالى بها كمال عبوديتها له سبحانه ، ليتصل الكلم بعيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى ورحمته تعالى به ثم يذكر طائفة اخرى من الأنبياء يأتي في مقدمتهم أبو الأنبياء عليه السلام فيدور الحديث حول رحمة الله

بهم وكمال عبوديتهم لله ، ليتضح لنا من خلال هذه القصص: كيف عاش الأنبياء والصالحون في ظلال الرحمة الربانية التي شملتهم وأظلتهم ورافقتهم في سائر أحوالهم؟ وكيف حققوا الغاية من وجودهم بعبوديتهم الخالصة لله وحده؟ ثم يأتي التعقيب على هذه القصص ببيان سوء عاقبة من انحرفوا عن منهج النبيين وسننهم القويم إلا من تاب وآمن وعمل علما صالحا فإن جزاءه الجنة، دار النعيم المقيم ودار السلامة من جميع الآفات والمنغصات، والجنة من أعظم الرحمات التي خص الله بها من يشاء من عباده، ثم تستطرد الآيات إلى الحديث عن تنزلات الملائكة بأمر الله تعالى وعلمه ورحمته. يلي ذلك جولات حوارية مع المشركين تضمنت عرضا لشبههم وأباطيلهم مع دحض هذه الشبه والأباطيل بالحجج والبراهين وتقرير العقيدة الصحيحة مع عرض صور ومشاهد بمواقف يوم القيامة، وفي هذه الجولات تتجلى رحمة الله في إمهاله للعصاة وفتح باب التوبة أمامهم.

✉المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: بدأت السورة الكريمة بالأحرف المقطعة (كهيعص) وفيها تنويه إلى ان القرآن كتاب عربي مبين في حروفه وكلماته وجمله وأساليبه، وفي الختام تجلت الحكمة من نزوله بهذا اللسان العربي المبين (فإنما يسرنه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا)

✉افتتحت السورة الكريمة بالثناء العطر علي نبي الله زكريا عليه السلام وتذكير الأنام برحمة الله تعالى وعنايته به ورعايته له وثنائه عليه في الذكر الحكيم، نرى في المقابل وعلى الجانب الأخر من طوي ذكرهم ومحيت أثارهم وطمرت مراسمهم بعد أن كانوا ملء الأسماع والأبصار، قال تعالى في ختام السورة: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)

✉افتتحت بذكر رحمة الله تعالى بزكريا (ذكر رحمت ربك عبده زكريا)، وختمت بذكر رحمته بالمؤمنين (إن الذين آمنو وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)، وذكر جانب من رحمة الله تعالى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم بتيسير القرآن بلسانه ليكون بشيرا ونذيرا (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا).

✉تحدثت السورة في أولها عن حاجة البشر للأولاد فجاءت الآيات تمثل رقة وعطفاً وحنوا، وفي آخر ربع تنفي حاجة الله تعالى للولد فهو خالق الخلق كلهم، وجاءت الآيات قاسية شديدة لأن هذا الأمر تخر له الجبال وتكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض.

✉تذكروا مغادرة الدنيا، واستقبال الآخرة، فإن الساعة آتية لا ريب فيها، ووالله ليبعثن الله من في القبور ،كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون فيها ، فالأواصر الدنيوية مهما كانت عميقة ، فإنها تتناثر في أدنى امتحان، قال الله تعالى : {الأَخِلاَّءُ يَومَئِذٍ، بَعضُهُم لِبَعضٍ، عَدُوٌّ إِلاَّ المتَّقِينَ} الزخرف 67، فالخلة حقا هي خلة التقوى، والرابط الصدق هي رابطة الدين، والفرار في الدنيا إلى المولى الرحيم والبر الكريم ، بتوبة نصوح ، وعمل صالح ،وإيمان صادق ، فيناله من الطمأنينة والسكينة، { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات:50]